

جماليات الأنساق المضمرة في الحكاية الشعبية

حكاية جازية والخرفان

Implied patterns in folk tales

A jazzy tale and sheep

د. بوعافية إيمان¹

جامعة محمد خيضر بسكرة، (الجزائر)

imane.bouafia@univ-biskra.dz

تاريخ النشر: 2026-06-09

تاريخ القبول: 2026-05-30

تاريخ الإرسال: 2025-09-20

الملخص:

يركز هذا البحث على تحليل الأنساق المضمرة في الحكاية الشعبية "جازية والخرفان"، مستعرضاً الرموز الثقافية والاجتماعية والسياسية التي تحويها. يتم تناول دلالات العنوان ورمزية الحيوانات، خصوصاً الخرفان، التي تعكس مفاهيم الخضوع والتضحية، إلى جانب تسليط الضوء على البنية الذكورية التي تهمش الأنثى في السرد. يتعمق البحث في دور الأسطورة لتعزيز الجوانب الثقافية والدينية للحكاية. كما يبرز كيف تُوظف هذه الأنساق لنقل قيم المجتمع عبر جماليات رمزية تتسم بالتشويق والعمق.

الكلمات المفتاحية: الحكاية الشعبية، الأنساق، النقد الثقافي، جازية والخرفان.

الملخص باللغة الأجنبية :

This research focuses on analyzing the hidden patterns in the folk tale "Jazia and the Sheep", reviewing the cultural, social, and political symbols it contains. The title's connotations and the symbolism of animals, especially sheep, which reflect concepts of submission and sacrifice are addressed, in addition to highlighting the male structure that marginalizes the female in the narrative. The research delves into the role of myth in enhancing the cultural and religious aspects of the tale. It also highlights how these systems are used to convey societal values through symbolic aesthetics characterized by suspense and depth.

Keywords: folk tale, patterns, cultural criticism, jazzy and sheep.

¹ المؤلف المرسل

مقدمة:

في المجال الأدبي، وبخاصة في دراسة الحكايات الشعبية، يُعدّ تحليل الأنساق المضمرة أحد الموضوعات التي تنسم بأهمية بالغة وتعقيد لافت للنظر. فالحكايات الشعبية ليست مجرد قصص ترفيهية ذات طابع خارجي جذاب، وإنما هي نصوص تحمل في طياتها عمقاً ثقافياً ورموزاً تُعبّر عن القيم والمعتقدات الكامنة داخل المجتمعات التي أنتجتها. وعلى الرغم من بساطة الشكل السردي الذي تتوارى خلفه هذه الحكايات، إلا أن محتواها غالباً ما يتسم بتقديم رسائل مشفرة ومتعددة الأبعاد تُعرض من خلال الأحداث والشخصيات. إن الكشف عن الأنساق المضمرة في الحكايات الشعبية ينطوي على عملية تحليل تُظهر كيف أن الرموز والموضوعات الظاهرة قد تكون غطاءً لمعانٍ أكثر عمقاً تتناول قضايا اجتماعية، سياسية، وأحياناً حتى روحية؛ حيث تتجسد هذه القضايا من خلال أحداث خيالية أو شخصيات مبتكرة. وعبر منهجية تحليلية متعمقة، يمكن التعرف على تلك الأنساق المخفية التي تمنح النصوص الشعبية أبعاداً فكرية وثقافية غنية، لتتحول بذلك القصص البسيطة ظاهرياً إلى مداخل تُفضي إلى عوالم فكرية معقدة تحفز القارئ وتدعوه إلى التفكير والتأمل في الدلالات الكامنة وراء الكلمات والأحداث. يكشف هذا التعقيد عن قدرة الحكايات الشعبية على تجاوز حدود السرد التقليدي لتصبح فضاءً لتمثيل الهوية الثقافية وتجسيد الصراعات الفكرية والمجتمعية بشكل رمزي، مما يضيف عليها طابعاً من العمق الفكري والثرء المعرفي الذي يستدعي اهتمام الباحثين والقراء الذين يسعون لفهم أبعادها الخفية.

الأنساق الثقافية المضمرة في حكاية الشعبية "جازية والخرفان":

شهدت حكاية "جازية والخرفان" الشعبية أنساقاً ثقافية مضمرة، ومن بينها:

1-نسق الذكورة والحكم:

يؤكد روجيه جارودي Roger Garaudy على نسق سيطرة هذه الذكورة في قوله: ((التشهير بجسد الأنثى حق من الحقوق اللغوية) التعبيرية) للرجل، كما أن قانون الرجل وإذا كان كل الأشخاص متساويين أما القانون فالنساء لا يمكنهن ذلك))²؛ يتضح ذلك جلياً في قصة "الجازية والخرفان"، حيث تتجسد هيمنة الذكر وسيطرته بوضوح، سواء من خلال تشكيل حبكة الأحداث داخل النص، أو عبر حضوره الطاغي الذي يتفوق على الصوت المقابل، المتمثل في الأنثى. تُعتبر كلمة "الذكورة" واحدة من المفاهيم التي أُشير إليها في العديد من النقاشات، حيث وجدت مكانة بارزة في المعاجم العربية بمعانٍ متنوعة. إلى جانب أهميتها المعرفية في مجالات النقد الحديث،

² سارة جامبيل : النسوية وما بعد النسوية، (تر) أحمد الشامي، ص 404.

خاصة النقد الثقافي ودراسات الذكورة، تُطرح المصطلحات ضمن إطار الخطاب النقدي الذي غالباً ما يتعارض مع تصورات الأنوثة. كلا المفهومين يعكس الفروقات النوعية والجنسية بين الجنسين، الذكر والأنثى، مع الإشارة أيضاً إلى الفروقات الثقافية المتصلة بكل منهما. فعادةً ترتبط الذكورة بدلالات القوة، الصلابة، والشجاعة، في حين تقتصر دلالات الأنوثة غالباً على الصفات التي تشمل اللينة، الضعف، والرقّة، وذلك وفق النسق الثقافي الذي تشكّل فيه هذه المفاهيم.

تعرف سارة جاميل الذكورية قائلة بأنها: ((مجموعة الخصائص المميزة للرجال تستند إلى الحتمية البيولوجية البسيطة وتؤكد على الاختلافات الجوهرية بين الجنسين))³ يتجلى هذا المفهوم من خلال شخصية السلطان في القصة، حيث يظهر بصفته حاكماً يمتلك القدرة المطلقة على السيطرة وتحقيق إرادته دون قيود. ويتضح النسق الذكوري بشكل أكثر وضوحاً في قراره الزواج بسبع نساء دفعة واحدة. بناءً على هذا الطرح، تناولت كيت ميليت هذه الفكرة بمنظور تحليلي يعكس أنماط القوة والهياكل الاجتماعية المترسخة. ((أن إجبار النساء على الطاعة ظل مستمرا بواسطة دور الجنس الذي يخضعن له منذ أقدم العصور))⁴.

يقدم القاص مشهداً يجمع بين "ذياب" وأمه بعد عودتها من زيارة أحواله، حيث تتبري الشخصية الرئيسية للحدث نيابة عنها، مستعرضة حلاً للألغاز الثلاثة التي طلب السلطان، زوجها، منها فك رموزها. يتجلى في هذا المشهد تصور الذكر لنظرة الأنثى، مما يعكس ديناميكية العلاقة وتفاعلاتها في إطار قصصي مليء بالدلالات. ((حسب ظنونه عنها، بل أنه أيضاً تولى التحدث بالنيابة عنها ومن هنا فإن الرجل يكتب المرأة في لغته وليس في لغتها ويستنتجها حسب المنطق ويديرها حسب هواه فيها))⁵؛ من ذلك الصفة التي أطلقها "ذياب" على أمه ((على بيها يقولوك جايحة بنت الجياح)) عندما عجزت المرأة عن فك اللغز الذي طرحه عليها زوجها، تولى الرجل هنا مهمة التعبير بدلاً عنها، تماماً كما فعل أشقاء الزوجة في ردهم على اللغز الثالث المتعلق بالكلمات. " فقال لها إختوها: ((هادي حاجة ساهلة، ألي ما أحلى منو لغسل، و ما مر منو الدفلى، ولي ما أغلى منو لحبل)) .

تركزت الأحداث بشكل رئيسي حول شخصية "السلطان" ثم ابنه "ذياب"، مما أفضى إلى تقليص دور الأنثى وتهميشها كفاعل حقيقي في سير القصة. هذا التوجه برز على مستوى الوظائف السردية

³ المصدر السابق، ص 404.

⁴ خديجو جامي: السرد النسائي العربي بين القضية والتشكيل رواية فضيلة الفاروق أنموذجاً، مذكرة لنيل درجة الماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2013، ص 19.

⁵ المصدر السابق، ص 35.

الممنوحة لكل من الشخصيتين الذكريتين من قبل الراوي. يبدو أنّ حكم السلطان على نسائه، المرتبط بعجزهن عن فهم الألغاز أو تفسيرها، قاد إلى تحديد مصير الأنثى بناءً على رؤية الذكر وخطابه تجاهها. هذه النظرة الذكورية ساهمت في تشكيل طبيعة دور الذكر داخل النص كعنصر "تعليلي"، حيث إنّ رحيل النساء واستمرار أم "ذياب" إلى جانب السلطان يعود إلى هيمنة الذكر على مجريات السرد. هذه الهيمنة دفعت عجلة الأحداث للأمام من خلال عدم قبول السلطان للمرأة التي يعتبرها حمقاء أو غير قادرة على فك رموز الألغاز وتحليلها.

2-نسق الأنوثة:

((إن اللغة تظهر تاريخيا وواقعا على أنها مؤسسة ذكورية وهي إحدى قلاع الرجل الحصينة، وهذا يعني حرمان المرأة ومنعها من دخول هذه المؤسسة الخاصة بالرجل، مما جعل المرأة في موضع هامشي بالنسبة لعلاقتها مع صناعة اللغة وإنتاجها جرى ذلك حسب القانون التاريخي))⁶ يتضح من سياق القصة أن الطرح الأدبي يعكس تأثير لغة الذكر في تحديد مصير الأنثى وعلاقاتها الاجتماعية ومستواها داخل النسيج المجتمعي.

إذ لطالما شهد التاريخ والأدب حضوراً خجولاً للمرأة مقارنة بالرجل، الذي فرض هيمنته على هذه المجالات عبر العصور. ففي المجتمعات العربية والغربية على حد سواء، واجهت المرأة تهميشاً وانقاصاً مستمرين، وحُرمت من الحقوق والفرص التي مكنت الرجل من احتلال مواقع القيادة والريادة. تاريخياً، برزت حالة من الإقصاء المنهجي التي مارسها الرجل على المرأة، متناسياً حقوقها ودورها الحيوي في بناء وتطوير المجتمع. وفي هذا السياق، تُعتبر اللغة إحدى الميزات التي لعبت دوراً هاماً في تكريس هذا التفاوت، حيث يُشير الكاتب عبد الله الغدامي إلى تفوق الرجل في استغلالها مقارنة بالمرأة. علاوة على ذلك، يظهر أن الأنثى تصبح محط اختيار وإعجاب من قبل الذكر، تبعاً لقدرتها على فك الرموز والإلمام بلغة الألغاز التي ينتجها الذكر.

وفي إطار مختلف، ألقت نوال السعداوي كتاباً يحمل عنوان "الأنثى هي الأصل"، حيث أكدت من خلاله أفكارها ومعالجتها لقضايا المرأة بأسلوب عميق ومثير للتأمل. ((إن القلق لا يحدث للإنسان إلا إذا أصبح واعياً بوجوده وإنّ هذا الوجود يمكن أن يتحطّم، وأنه قد يفقد نفسه ويصبح لا شيء، وكلما كان الإنسان واعياً بوجوده زاد قلقه على هذا الوجود وزادت مقاومته للقوى التي تريد تحطيمه))⁷. يتجسد هذا الأمر بجلاء في إعجاب "ذياب" بشخصية "الجازية" بعد أن تمكنت من تفسير لغز العظام الذي أرسله مع

⁶ عبد الله الغدامي: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، (ط3)، 2006، الدار البيضاء، المغرب، ص 111.

⁷ نوال السعداوي: الأنثى هي الأصل، مؤسسة هندواي، المملكة المتحدة الأمريكية، 2017، ص 62.

شقيقته "ذبية"، وهو ما أبرز القاص من خلال تسليط الضوء على هذا الجانب من التفاعل بين الشخصيات

فالأنثى في هذا السرد إما أن تكون متزوجة أو مطلقة، بناءً على قدرتها على مواكبة توقعات الذكر واستيعاب الألغاز التي يطرحها. ويتجلى هذا الأمر بوضوح في شخصيات مثل "أم الذياب" والزوجات الست اللواتي طلقهن الملك، حيث يعكس مصيرهن ارتباطاً مباشراً بمدى تجاوبهن مع تلك التوقعات. دفع القلق الذي سيطر على أم ذياب، زوجة السلطان، إلى بذل جهد كبير لفك لغز الكلمات الثلاث الغامضة. بدأت بالاعتماد على إختوتها، ثم انتقلت لاحقاً لتسخير ابنها ذياب لحل هذا الغموض. وعلى الجانب الآخر، لم تتوقف الجازية عن محاولاتها المتكررة للضغط على ذياب وإرغامه على الامتثال لرغبتها، كل ذلك بهدف إقناعه بالعودة من الرعي والتراجع عن الوعد الذي قطعه للرعي. هذه المساعي ليست مجرد تفاعل عاطفي، بل تشير إلى موقف دفاعي أنثوي يعكس حرص الجازية على الحفاظ على سلطتها كحاكمة، إضافةً إلى رغبتها في إبقاء ذياب قريباً منها بسبب إعجابها بأخلاقه ومروءته. ما يظهر في هذه المواقف يعكس نمطاً ثقافياً يحدد طبيعة العلاقة بين الأنثى والذكر في المجتمع، حيث تُضطر المرأة غالباً إلى اتخاذ موقف دفاعي أمام السلطة الذكورية التي تحكم المشهد. هذا الديناميك وضع المرأة في موقع تبعية للذكر، سواء في سياق علاقة أم ذياب مع السلطان أو علاقة الجازية مع ذياب.

كما يتجلى في مشهد رحيل النساء وتركهن زوجة السلطان الحامل تواجه وحدها آلام الولادة، حضور واضح للنمط الأنثوي في التصرفات والمواقف. هذا السلوك يعكس حالة من الغيرة الكامنة تجاه زوجة السلطان التي حافظت على مكانتها وسط الأزمات. ويعود السبب إلى التزامها بوعداها للسلطان الذي وعدته بأن تنجب له طفلاً وطفلة، فكانت وفية لهذا الوعد. على الجانب الآخر، انتهت العلاقة بين السلطان وزوجاته الأخريات بطلاقهن نتيجة عدم وفائهن بوعدهن، مما يعكس اختلاف المسارات بين هؤلاء النساء والمكانة التي تميزت بها الزوجة الوفية.

استناداً إلى ما تقدم، يمكن استخلاص عدد من الملاحظات المحورية، أبرزها يتمثل في أن النسقين الأنثوي والذكوري اللذين تجليا بشكل ضمني في قصة "الجازية والخرفان"، يظهران من خلال أدوارهما المختلفة في البنية السردية، حيث يُبرز الذكر والأنثى بوظائفهما المتباينة. وقد تجلت تلك الوظائف جلياً عبر الشخصيتين الرئيسيتين: السلطان وذياب، اللذين يمثلان الصوت الذكوري الفاعل والذي تؤدي أفعالهما السردية دوراً حاسماً في تغيير وتوجيه مجريات الأحداث. علاوةً على ذلك، يتضح أن الشخصيات الذكورية والأنثوية تنقسم من حيث موقعها ضمن النسق السردى إلى شخصيات مركزية وهامشية. في هذا السياق، تتمركز الذكورة بوصفها الخطاب المهيمن على السرد والموجه له، بينما تأتي

الأنوثة في موقع هامشي، حيث تتجلى بدور تابع ومنصاع، خاضعة للصوت الذكوري ومكرسة لتأدية وظائفها ضمن إطار يخدم هيمنة الطرف الآخر.

3- نسق الذاتية/الأنانية:

يلاحظ من خلال الحكاية أن دياب اتخذ موقفاً متماسكاً حين رفض مرافقة جنود جازية، مستنداً إلى الالتزام بالعهد الذي قطعه للنعاج. هذا السلوك يمثل تجسيدا لقيم الوفاء والتمسك بالوعود، مما يُبرز نبل أخلاقه وعمق شخصيته. وفي المقابل، يظهر موقف جازية أثناء توزيعها للخرفان عبر نظام تقسيم وضعته بنفسها، كدليل على محاولاتها للهيمنة والتلاعب بما يتعارض مع مبادئ العدالة والإنصاف بين الأطراف المختلفة. يمكن تلخيص هذه الأحداث بأنها تسلط الضوء على جانب الأنانية في السلوك الإنساني، حيث يتم تجاهل القيم الأخلاقية لصالح تحقيق المصالح الشخصية على حساب الآخرين. وبالنظر إلى تلك الحالات، ينبغي أن تشكل قيم الاحترام والإخلاص والعدل الركائز الأساسية التي توجه تعاملاتنا وتواصلنا مع الآخرين لتحقيق الانسجام الاجتماعي والمساواة.

على عكس ذلك الموقف التي اتسمت به جازية والذي يظهر تجلٍ واضح للسلوك الأناني حينما طلبت من جنودها إحضار ذياب إليها، مستغلة سلطتها بطريقة تنم عن رغبة جامحة في فرض هيمنتها وإذلاله. رفض ذياب الانصياع لطلبها كان نابعاً من وفائه بالعهد الذي قطعه مع النعاج، إذ أجاب الجنود قائلاً: "لن أذهب معهم إلا إذا لحقت النعاج بهم، وإن لم تذهب فلن أذهب". وبعد أن نقل الجنود ردّ ذياب لجازية، اتخذت قراراً يكشف عن نزعتها للتحكم والسيطرة، حيث أوعزت للشيخ المسؤول عن النعاج بتقسيمها على أساس معيار جائر، إذ اعتبرت أن كل نعجة تمر بعد شجرة السدرة تُمنح لذياب، بينما البقية تعود للشيخ. يمكن استخلاص دلالة واضحة من تصرفات جازية بأنها تتسم بنمطية سلوكية تكتنفها الأنانية وعدم اكتراثها بمشاعر الآخرين أو الالتزام بالقيم الأخلاقية. تصرفاتها تعكس اهتماماً مفرطاً بمصالحها الشخصية ورغبة قوية في تحقيق مرادها، حتى وإن كان ذلك على حساب حقوق الآخرين أو كرامتهم.

4 - النسق السياسي:

تُجسد حكاية "جازية والخرفان" بمهارتها السردية وأسلوبها الجذاب جوانب النسق السياسي، حيث تتسج صورة متقنة تكشف تعقيدات نظام الحكم وانعكاساته المباشرة وغير المباشرة على حياة الشعب وحيوات الشخصيات المحورية في القصة. الصورة التي يظهر بها السلطان في الحكاية تسلط الضوء على شخصيته بوصفه الرجل الذي اتخذ سبع نساء زوجات له، بعد أن قطعن له وعوداً بتلبية مطالب محددة بمجرد أن يصبح زوجاته. تجلّت في شخصية السلطان صفات الفطنة وولعه بالحكمة، وهو ما برز

بشكل واضح من خلال تصرفه عندما توجه بطلب غير مألوف إلى زوجته السابعة، مظهرًا عمق تفكيره ودوافعه المختبئة وراء تلك الرغبة.: "في يومٍ من الأيام طلب السلطان من زوجته أن تحضر له ثلاث كلماتٍ من عند أهلها فقال لها : قوليلي واش هو ألي ما أحلى منو؟! ،وما مر منو؟ وما أعلى منو ؟ فخرجت قاصدةً بيت أهلها .."⁸ يمكن استنتاج أن شخصية السلطان في الرواية تتسم بالحكمة والنبوغ، حيث تتجلى صفاته القيادية والذهنية من خلال الطلب المميز الذي وجهه إلى زوجته السابعة .ويُعدّ هذا الطلب، الذي يتمثل في الحصول على ثلاث كلمات من أهلها، تجسيدًا لقدرته على تقييم ذكاء زوجته ومهارتها في فك الرموز والتعبير بمنهج راقٍ عن مفاهيم الجمال. الطلب الفريد يكشف عن سعي السلطان للتحقق من مقدرة زوجته على التفاعل الفطن مع الرموز الفكرية وتحويلها إلى دلالات ذات معنى عميق عبر خطاب ذكي يعكس ثراءً فكرياً وروحياً.

في رواية "جازية والخرفان"، يمكن استنتاج تجليات الطابع السياسي من خلال عدة جوانب تتشابه مع الأحداث التي تقودها الشخصيات وتدفعها تطورات الحبكة .تتجلى مظاهر النسق السياسي بوضوح في تغيرات عميقة تشهدها البنية الاجتماعية للمجتمع ضمن إطار القصة وتفاعلاتها .يتضح البعد السياسي بجلاء في نظام الحكم المرتكز على نظام السلطنة الذي يقوده "السلطان"، والذي يتمثل إلى حد كبير مع النظام الملكي، ولكن يختلف عنه فقط في تسمية الحاكم :ففي المملكة يُطلق عليه "ملك"، بينما في السلطنة يُعرف بـ"سلطان". "هذا الخلاف في التسمية يمثل أحد التفاصيل التي تُبرز الخلفية السياسية للنظام الحاكم في السلطنة، وهو نظام قيادي يتشابه في عناصره العامة مع الملكية .علاوة على ذلك، تسلط القصة الضوء على التحولات الجوهرية التي تطرأ على المجتمع، حيث تظهر عملية تناول القضايا السياسية والسلطوية بشكل واضح. يُبيّن كيف أن القرارات السياسية تضرب بجذورها في حياة الأفراد، فتترك آثارًا واضحة على الأعراف والقيم والثقافة القانونية التي تنظم وتوجّه حركة المجتمع. هذه الديناميات تضع السياسة في مركز الأحداث، مما يعكس دورها المحوري في تشكيل البيئة الاجتماعية والتأثير على مجريات الأمور داخل

يمكن تفسير تصرف السلطان كاختبارٍ ذكي يهدف إلى قياس قدرات زوجته على تحليل الرموز واستخدام الحكمة في التعبير عن أفكارها .ربما كان هذا السلوك نابعاً من تقدير السلطان للذكاء والحكمة، ورغبته في إقامة علاقة مبنية على الشراكة الفكرية والاستمرارية مع شريكه حياته .بالإضافة إلى ذلك، يظهر في القصة عنصر الحيلة النسوية جلياً، حيث تمكنت النساء من توظيف ذكائهن لتحقيق غاياتهن.

⁸ يُنظر: مقال إلكتروني بعنوان: ما هو الفرق بين المملكة والجمهورية والسلطنة تم زيارة الموقع بتاريخ 26 افريل 2025 الساعة 22:45 نقلاً عن : <https://www.misbar.com> ص171.

فالمرة الأولى تتجلى عندما تمكّن من إقناع السلطان بوعودهن وما يمكنهن فعله إذا أصبحت إحداهن زوجةً له، مستخدمات دهاءهن لإظهار قدراتهن بطريقة مبهرّة ومؤثّرة⁹ : .فقالّت الأولى : أنا لو كان نزوّج بالسلطان ،من جرّة ندير برنوس . وقالت الثّانية: من حبة قمح ندير ميعاد وقالت الأخرى: من الشّيح ندير ركيّزة والأخرى قالت: من مغزل ندير ثليس " ⁹.بمجرد أن عقد قرانه عليهن، تكشّفت له حقيقة وعودهن، لتبدو مجرد عبارات جوفاء لا تمتلك أي أساس عملي أو قدرة على التنفيذ. " .. لم تستطع الأولى صنع البرنوس من جرّة واحدة ولما سألتها السلطان عن البرنوس أجابته قائلةً : جابيًا ت لكحل ،بعت الجرّة وسريت لكحل فجعلها خادمة ،أمّا الثّانية فلم تقب بوعدها هي الأخرى مدّعية أنّ الديك قد أكل حبة القمح لمّا همت بطحنها ،والثّالثة لما سألتها السلطان عن سبب عدم وفائها بعهده قالت : لاه كشما شفت ركيّزة تنبنى بالشّيح ! وهكذا فشلت كلّ النسوة .."¹⁰.

نستنتج من ذلك أن النساء في الحكاية استخدمن الحيلة والخداع كأداة لتحقيق أهدافهن، ويتجلى هذا الأمر بوضوح من خلال وعودهن الكاذبة للسلطان وإظهارهن لقدرة غير واقعية على إنجاز أمور تفوق التوقعات بل وحتى التخيل، مع مرور الوقت، يدرك السلطان أن تلك الوعود لم تكن سوى كلام فارغ يفتقر إلى الجوهر، وأنهن غير قادرات على الوفاء بما تعهدن به .

هذا السلوك الذي يعتمد على الحيلة يعود بشكل أساسي إلى عدم قدرة النساء في سياق الحكاية على تنفيذ ما يقُلنّه، مما يبرز الوجه غير الصادق لتصرفاتهن، وقد يكون هذا النهج رمزًا للطموح البشري الطبيعي في تحقيق الأهداف واكتساب القبول والمكانة، ولكن بأسلوب يفتقد للنزاهة والمصداقية، ومن جهة أخرى، يبدو فشل النساء في الوفاء بوعودهن انعكاسًا لقلّة الصدق والأمانة في أفعالهن، مما يُظهر أهمية الالتزام بالقيم كالصدق والوفاء في العلاقات والتعاملات الإنسانية، ولعل الرسالة الأعمق لهذه الحكاية تكمن في التأكيد على ضرورة الوفاء بالعهود واحترام الالتزامات كجزء أساسي من التعامل النزيه والمسؤول في الحياة.

5-النسق الاجتماعي:

إنّ الوقائع الاجتماعية ترتبط بطبيعتها بتفاعلات الأفراد ومكوناتهم الثقافية، بما يشمل العادات والتقاليد بالإضافة إلى ممارسات أخرى تحمل طابعًا خاصًا بالمجتمع، ويمكن استشعار هذه العادات

⁹ المصدر السابق ، ص170.

¹⁰ يُنظر، مقال إلكتروني بعنوان: ما هو الفرق بين المملكة والجمهورية والسّلطنة تم زيارة الموقع بتاريخ 26 افريل 2025

الساعة 23:30 نقلًا عن : <https://www.misbar.com> ص171

بوضوح في سياق السرد القصصي الذي قد يُسلط الضوء على النسيج الاجتماعي والتقاليد السائدة. على سبيل المثال، تُظهر إحدى القصص جانباً من هذه العادات في حادثة يُروى فيها أن السلطان، وفي إطار رغبته في الزواج، أمر بإعلان تلك النية عبر رسولٍ إلى عامة الشعب ليُخبر النساء اللائي يعتقدن أنّ مؤهلات للارتباط به بالحضور إليه، يتضح من هذا المشهد مدى تأثير الأعراف الاجتماعية في رسم صورة محددة للعلاقات الإنسانية وطريقة التعبير عنها داخل نطاق الثقافات المختلفة.¹¹

يُظهر هذا المقتطف تصرف النسوة في توجيههن للسلطان بطلبٍ منه لعرض أنفسهن للزواج بشكل يتجاوز الأعراف والتقاليد الاجتماعية السائدة. يمكن تفسير هذا السلوك بكونه مرتبطاً بشخصية السلطان ومكانته كحاكم ذي سلطة ونفوذ كبير، ما يجعل النسوة ينظرن إليه كفرصة لتحقيق طموحاتهن الشخصية أو الوصول إلى أهداف معينة. في ظل هذه السلطة والمكانة التي يتمتع بها السلطان في المجتمع، قد يكون الدافع لدى النسوة هو السعي وراء الامتيازات التي يمكن أن يوفرها الزواج الملكي، مثل الدخول في دائرة القصر والخدمة الملكية، إلى جانب اكتساب مكانة اجتماعية مرموقة.

قد يُعتبر قبول النسوة بعروضهن ووعودهن المقدمة للسلطان انعكاساً لرغبتهم في تحسين ظروفهن الاجتماعية والاقتصادية، إلى جانب تطلعاتهن لاستثمار العلاقة معه كوسيلة لتحقيق القوة والنفوذ، هذه المبادرة تُظهر خروجاً عن الأعراف التقليدية في طلب الزواج، حيث تتولى النساء زمام المبادرة بأنفسهن لتقديم ما لديهن من وعود وعروض، هذا السلوك قد يكون مدفوعاً بظروف استثنائية فرضتها مكانة السلطان وسلطته المؤثرة في المجتمع، ما يدفعهن إلى التصرف بطريقة غير اعتيادية تحقيقاً لأهدافهن.

6- نسق الأسطورة:

يُنظر إلى الميثولوجيا باعتبارها منظومة متكاملة تتألف من أساطير مترابطة، غالباً ما تستمد جذورها من سياقات ثقافية متباينة، وهو ما يفسر ظهور أنظمة ميثولوجية ذات بنية شديدة التعقيد لدى بعض المجتمعات البدائية. مثل هذه الأنظمة تجسد خلاصة التفكير الجمعي لهذه الشعوب خلال حقبة زمنية محددة. لقد اتسمت هذه الأنظمة بحكايات تُشكّل الخيال فيها العنصر المحوري، متناولةً موضوعات تتراوح بين الظواهر الخارقة للطبيعة وأفعال الآلهة، وحتى القصص الحيوانية ذات الطابع الغرائبي.

¹¹ يُنظر، برباش مريم: الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة دراسة ميدانية مذكّرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص أدب عربي، فرع أدب جزائري حديث، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية معهد العلوم الاجتماعية، جامعة المسيلة، السنة الجامعية 2011 _ 2012، ص 170.

وعليه؛ فقد حظيت الأسطورة باهتمام كبير لدى الفلاسفة وعلماء الاجتماع وعلم النفس، باعتبارها إحدى المحطات الجوهرية في مسيرة تطور الفكر الإنساني نحو فهم القضايا الوجودية العميقة التي رافقت البشرية عبر العصور، تشكل هذه القضايا نافذة تسلط الضوء على مدى تعقيد الحياة المعاصرة للإنسان وتشابك أبعادها المتنوعة، وتبرز هذه الحكايات كمرآة انعكست عليها أنماط التفكير وأساليب تصور تلك الشعوب لما يحيط بها من ألغاز ومعانٍ عصية على التعبير المباشر. ومن هذا المنطلق، تُعد الميثولوجيا ظاهرة ثقافية بالغة التعقيد، يمكن تناولها من منظور منهجي متعدد الأبعاد لفهم أكثر عمقاً لطبيعة الإنسان وخصائص مجتمعه.

في هذا السياق، يوضح كلارنيس جيني في مؤلفه "سيكولوجية الأسطورة" أن ((أن الأسطورة تعكس أمنيات الإنسان الذي عاش تحت ظل ظروف حياتية متغيرة وهي شبيهة بأمنيات الأطفال ورغباتهم، وتشبه كذلك أحلام البالغين، والأفكار الخادعة المشوشة للإنسان المريض عقلياً؛ حيث إن نمو الفرد الجسمي يتم من خلال المرور بمراحل مشابهة لمراحل ارتقاء الإنسان اجتماعياً من مرحلة الهمجية إلى مرحلة الحضارة))¹².

يتبين مما تقدم أن الأسطورة، باعتبارها نصاً ارتبط بالإنسانية منذ بدايتها، تشكل عنصراً ثقافياً مهماً رافق تطور البشرية في مراحلها الأولى. ولهذا السبب، يحمل النص الأدبي في سياق الأسطورة التي يتضمنها دلالات عميقة تتسجم مع سياقات خفية تعبر عن ثقافة الشخصيات، سواء من حيث محتواها المعرفي أو طبيعة نمط حياتها.

حيث تُعد الأسطورة، في جوهرها، إحدى أهم النظم الثقافية التي حملت طابعاً تاريخياً عريقاً وأسهمت بشكل كبير في إرساء دعائم الفكر البشري في العصور القديمة. لم تكن الأسطورة مجرد حكايات تخيلية تُروى بغرض الترفيه، بل كانت بمثابة الإطار السردى الأول الذي استعان به الإنسان لتفسير الظواهر الكونية والأحداث غير المرئية التي كانت تحيط به. بناءً على ذلك، اتخذت الأسطورة دوراً أشبه بالمرآة التي تعكس عمق البنية الثقافية للمجتمعات المبكرة، وتبرز الرؤى التي تبناها الإنسان في مواجهة القوى الطبيعية. لقد تمثلت هذه الرؤى بصورة جلية في إسباغ الطابع الإلهي على الظواهر الطبيعية، وربط هذه الظواهر بشكل وثيق بما كان يؤمن به من أفكار ومعتقدات دينية.¹³

¹² زيد الرفاعي: الأسطورة وملامح شعبية أخرى في شعر السياب قراءة فولكلورية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة الكويت، 2013، ص 182. (نقلاً عن : Cheney, C O: "The Psychology of Mythology", (Psychiatric, Vol 1, New York, 1927,p199).

¹³ ينظر: يونس عبد الحميد، معجم الفلكلوري، أسطورة، دار الساقي، بيروت، لبنان، ص 34.

بالنظر إلى الحكاية الشعبية المدروسة في هذه الورقة البحثية؛ فقد يُمثّل النسق الأسطوري في حكاية "الجازية والخرفان" أداة لإبراز هيمنة المركزية الذكورية على الهامشية الأنثوية، حيث تجلّى ذلك في اشتراط الذكر لفهم المرأة للألغاز كميّار لتحديد مصيرها. هذه الألغاز مستمدة من الفلكلور الشعبي الجزائري القديم ومن القصص المتوارثة عبر الأدب الشعبي في مناطق جزائرية متعددة. بذلك، يشكل النسق الأسطوري نقطة تلاقي بين الأنساق السردية السابقة، وهو يعد نسقاً مضمراً ساهم في بلورة فكرة القصة وتحفيز الحكاية السردية، بالإضافة إلى دوره المركزي في بناء الشخصيات وتأثيرها داخل فضاء أحداث قصة "الجازية والخرفان".

تُبرز القصة النسق الأسطوري بشكل واضح من خلال مشهد حديث الكباش ومحاورته لحراس "جازية"، حيث يتجاوز دوره الحيواني ليصبح كياناً ناطقاً يتمتع بمنطق وحكمة استثنائية. في هذا المشهد، يتفاعل الكباش مع كلمات الحراس بطريقة دقيقة وحرفية، مما يمنح "ذياب" الوقت اللازم للاستعداد للرد بشكل مناسب. هذا العنصر يسلط الضوء على دمج الأسطورة بالنص عبر إسناد صفات إنسانية للحيوانات، فتنحدر إلى رموز للحكمة أو وسائل مساعدة غيبية، مما يضيف بُعداً خيالياً إلى السرد يمتزج بجوانب رمزية عميقة. تنعكس هذه الرمزية غالباً من خلال الألغاز التي تُشكل نقاط تحول حاسمة داخل النص، وهي تمثل انتقال الشخصيات من حالة إلى حالة. على سبيل المثال، ترك "ذياب" عائلته بعد فعل السلطان تجاهه إثر مساعدته لأمه في حل لغز الكلمات الثلاث، وهو قرار قاده، بعد رحيله عن دياره، إلى الانصياع لما تقود إليه أغنام الراعي. هذه الأحداث تكشف العلاقة التبادلية بين الأسطورة والواقع، حيث تتحول التفاصيل الصغيرة إلى أدوات لصناعة التحولات الكبرى في القصة. ((وقد تواعد معهم قائلاً: "نعاهدكم بعهد ربي منين مشيتوا نتبعكم"، والنعجات عاهدوه بالطاعة وكثرة الولادة))؛ تشكل هذه التحولات نقاطاً جوهرية تغير مسار السرد من حالة إلى أخرى، كما تبرز تحول وظيفة الشخصية عبر تعرضها لشخصيات جديدة خلال تطور الحكاية. ينعكس النسق الميثولوجي الأسطوري في القصة كخطاب مضمّر داخل البنية السردية بشكل عام؛ إذ يشكل هذا النسق إطاراً محدداً يضيف على الشخصية صفة مميزة ويحدد وظيفتها ضمن سياق السرد. بالإضافة إلى ذلك، يرسم العلاقات التي تربط بين الشخصيات، ويتجذر هذا النسق في تفاصيل عديدة داخل القصة، سواء من خلال لغة الشخصيات التي تميل إلى أسلوب "الألغاز"، أو في سياق إبراز الرسالة القيمية التي يسعى الكاتب إلى إظهارها؛ حيث تتجسد هذه الرسالة في مجموعة من القيم الاجتماعية المتجذرة في طبيعة العلاقات التي تجمع بين الشخصيات.

كما يتضح بجلاء النسق الأسطوري في قصة "الجازية والخرفان" في الامتزاج الوثيق مع سيرة بني هلال الشهيرة التي تناقلها الموروث الأدبي العربي المغربي عبر العديد من الروايات. هذه الروايات تميزت

بطغيان الخيال والطابع الملحمي الميثولوجي على الحقيقة الواقعية والسرد الموضوعي. شخصيات مثل "دياب" و"الجازية" تُعتبر في إطار سيرة بني هلال أشبه بالرموز الأسطورية، وذلك بسبب الدور الذي لعبته في الأحداث العامة للسيرة، بعيداً عن الأفعال المحددة التي تناولتها الحكاية موضوع الدراسة.

تفاعل دياب مع الحيوانات، مثل النعاج والكباش، يعكس قدرة استثنائية على التواصل مع الكائنات غير البشرية، متجاوزاً الحدود التقليدية للفهم من خلال استيعاب منطقها وحتى الحصول على التزامات منها. يُعد هذا النوع الفريد من التواصل مكوناً بارزاً في الحكايات الأسطورية، حيث تُمنح الحيوانات أدواراً تتجاوز صفاتها الطبيعية. وبالتالي، تتجلى شخصية البطل كجسر يربط بين العالمين البشري والطبيعي في تناغم مميز يحرك الخيال. وتُظهر الأحداث التي شكّلت حول شخصية دياب هذا النمط العميق الذي ساهم في تحديد طبيعة الشخصية وعلاقتها مع الآخرين. كما أنّ هذا النسق يمثل القيمة الأساسية للأحداث القصصية، حيث تتبع الوظائف التي تؤديها كل شخصية في القصة مسارات هذا النسق في سياقاتها العجائبية وغير المنطقية

ملخص حكاية "جازية والخرفان":

في حقبة زمنية بعيدة، تولى سلطنة البلاد حاكم عُرف بطيبة قلبه وحكمته، بعد إدراكه ضرورة الزواج لترسيخ مستقبل الدولة، أعلن قرار خطوبته عبر بيان رسمي حمل معاني الفخر والسرور. استدعيت سبع سيدات، كل منهنّ قدمت وعداً طموحاً ومثيرة للدهشة للسلطان، تزخر بتشبيهاً مستوحاة من عناصر الأرض والسماء وحتى الجماد، إلا أن الزوجة السابعة انفردت بوعده فريد للسلطان، حيث تعهدت بإنجاب طفلين، ومع مضي الوقت وتوالي الأحداث، اتضح أن وعود السيدات الست لم تتجاوز كونها كلمات بلا سند، بينما تميزت الزوجة السابعة بصدقها حين حملت بالفعل، لكن هذا التميز أثار غيرة النسوة الأخريات، فخشين أن يزداد تقدير السلطان لها فوق ما يُعطيه، وبدافع الحسد والمؤامرة، تعمدن تركها في عزلة دون أي دعم في ليلة ولادتها، رغم المخاطر الجسيمة والصعوبات التي واجهتها، نجحت الزوجة السابعة في تجاوز المحنة وأثبتت صدق وعدها بولادة توأم، طفل وطفلة سماهما السلطان "دياب" و"ديبة" بذلك أصبحت الزوجة محط إعجاب الجميع، وخلّدت قصتها كرمز للإرادة والصبر لتحقيق الوعود تحت أقسى الظروف.

كبر الولدان تدريجياً، وفي أحد الأيام عندما كانت زوجة السلطان تستعد لزيارة إخوتها، قدّم لها الملك أحجية وطلب منها أن تستفسر عن حلّها من إخوتها، ومع ذلك، لم يتمكن إخوتها من تقديم الإجابة الصحيحة، أثناء عودتها إلى القصر، صادفت ابنها دياب، الذي تمكّن من فك الأحجية وتفسيرها ببراعة. بيد أن السلطان سرعان ما أدرك أن دياب هو من قدّم الحل، وأعلن كذباً عن وفاة ابنه، مما دفع دياب إلى

مغادرة البلاد تحت وطأة تلك الادعاءات الجائرة، بعد مغادرته، اصطحب دياب أخته ديبه واتجه نحو أرض أخرى تحكمها امرأة تُدعى جازية، استودع أخته لدى جازية، التي وافقت على الأمر لأنها كانت مُعجبة بشخصيته المميزة، من هناك، انطلق دياب للبحث عن عمل جديد حتى التقى بشيخ يمتلك سبع نعاج عرض الشيخ عليه أن يتولّى رعايتها لتكثر نسلها على أن يتقاسموا الحصيلة بينهما، قبل دياب العرض وقطع عهدًا على نفسه ألا تفارق خطاه مسار نعاجه، فكانت تتبع خطواته بدقة واستمرت ولاداتها في التزايد. ومع مرور الوقت، شعرت جازية بالقلق لغيابه وطلبت من جنودها العثور عليه وإحضاره إليها. غير أنّ دياب أوضح للجنود أنّه لا يغيّر مساره إلا تبعًا لوجهة نعاجه، ما دفع الجنود للعودة وإخبار جازية بما حدث. عندئذٍ طلبت جازية من الشيخ أن يستعيد نعاجه من دياب، لكن الأخير رفض أن ينقض عهده معها. وبعد إدراك جازية أن دياب لن يعود إلا إذا جُرد من ما يملكه، لجأت إلى تقسيم القطيع واستنزاع حصته. وفي إحدى المرات أرسل دياب عبر شقيقته ديبه صحنًا يحتوي على عظام بقايا لحم إلى جازية. فطنّت الأخيرة إلى قصد دياب من هذه الرسالة؛ فقد أراد إيصال إحساسه بأنه قد أصبح كالعظام بعدما فقد كل شيء. وعندئذٍ أمرت بإعادة ما أخذ من نصيب القطيع إلى دياب. بعد استعادة رزقه، تزوّج من جازية وسافر فترةً بعيدًا عن البلاد، ليعود لاحقًا ويجد أنّ ابنته قد كُبرت. بعدها عاشوا جميعًا حياة مليئة بالسعادة والاستقرار.

الخاتمة:

تطرح الحكاية صورة متجذرة لهيمنة النسق الذكوري من خلال الشخصيات المركزية التي تتحكم في مسار الأحداث، ما يعكس البنى المجتمعية التقليدية. تحمل رمزية الخراف دلالات عميقة مثل التضحية والخضوع، وتتداخل معها أبعاد دينية تُعزز القيم الأخلاقية التي تلعب دورًا مهمًا في تشكيل الحكمة الروائية. الأنساق الأسطورية تُضفي مشروعية للهيمنة الذكورية عبر تطويع العالم الحيواني وإضفاء صفات إنسانية تخدم الرموز الكامنة والرسائل الضمنية. أما الشخصيتان الرئيسيتان، دياب وغازية، فتجسدان ثنائية مثيرة؛ حيث يمثل دياب جانب التضحية المطلقة بينما ترمز جازية إلى الذكاء والحيلة، مما يُبرز تفاعلية الأدوار الجندرية وديناميكيتهما. تتفرد الحكاية بجماليات سردية استثنائية تعكس عمق الارتباط بين الرموز وتوظيفها الثقافي والديني، لتقدم للقارئ تجربة غنية متعددة الطبقات تتطلب تأملًا وتفاعلًا يغوص في أبعاد النص المختلفة.

المراجع:

1. خديجو جامي: السرد النسائي العربي بين القضية والتشكيل رواية فضيلة الفاروق أنموذجًا، 2013، مذكرة لنيل درجة الماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر.

2. زيد الرفاعي: الأسطورة وملاحم شعبية أخرى في شعر السياب قراءة فولكلورية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة الكويت، 2013، ص 182. (نقلاً عن : Cheney, C O: "The Psychology of (Mythology", Psychiatric, Vol 1, New York, 1927,p199).
3. سارة جامبيل : النسوية وما بعد النسوية، (تر) أحمد الشامي.
4. عبد الله الغدامي: المرأة واللغة، 2006، المركز الثقافي العربي، (ط3)، الدار البيضاء، المغرب.
5. نوال السعداوي: الأنثى هي الأصل،، 2017، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة الأمريكية
6. مقال إلكتروني بعنوان: ما هو الفرق بين المملكة والجمهورية والسلطنة تم زيارة الموقع بتاريخ 26 افريل 2025 الساعة 22:45 نقلاً عن : <https://www.misbar.com>.
7. يونس عبد الحميد، معجم الفلكلوري، 2012، أسطورة ، دار الساقي، بيروت، لبنان.
8. برياش مريم: الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة دراسة ميدانية، 2011 _ 2012 .، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص أدب عربي، فرع أدب جزائري حديث ، قسم اللغة العربية وآدابها ،كلية معهد العلوم الاجتماعية، جامعة المسيلة ،السنة الجامعية .
9. مقال إلكتروني بعنوان: ما هو الفرق بين المملكة والجمهورية والسلطنة تم زيارة الموقع بتاريخ 26 افريل 2025 الساعة 23:30 نقلاً عن : <https://www.misbar.com>.